ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها

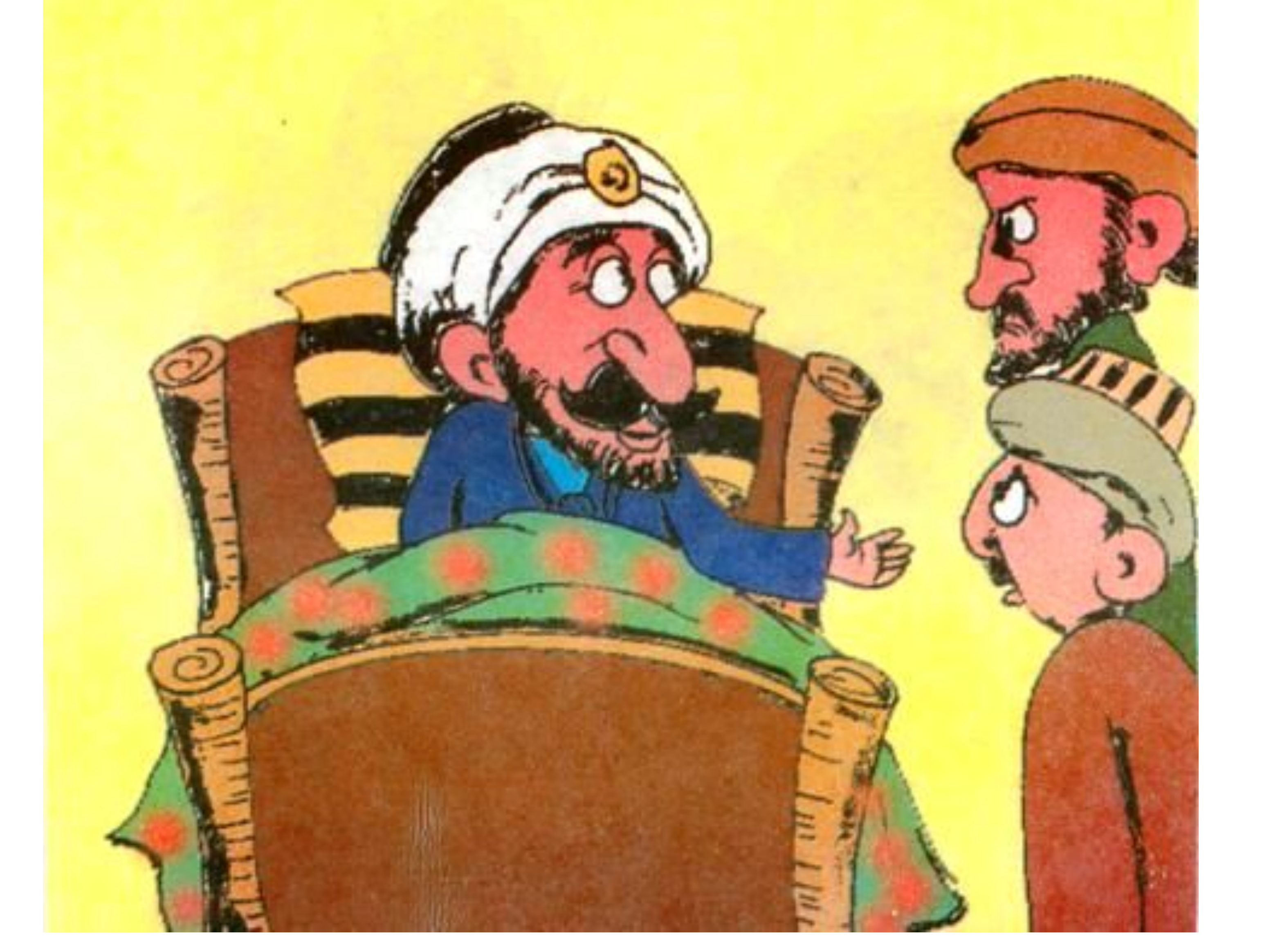


نصيحة كبير الحكماء

بقلم ورسوم : شوقي حسن

مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي - الفجالة

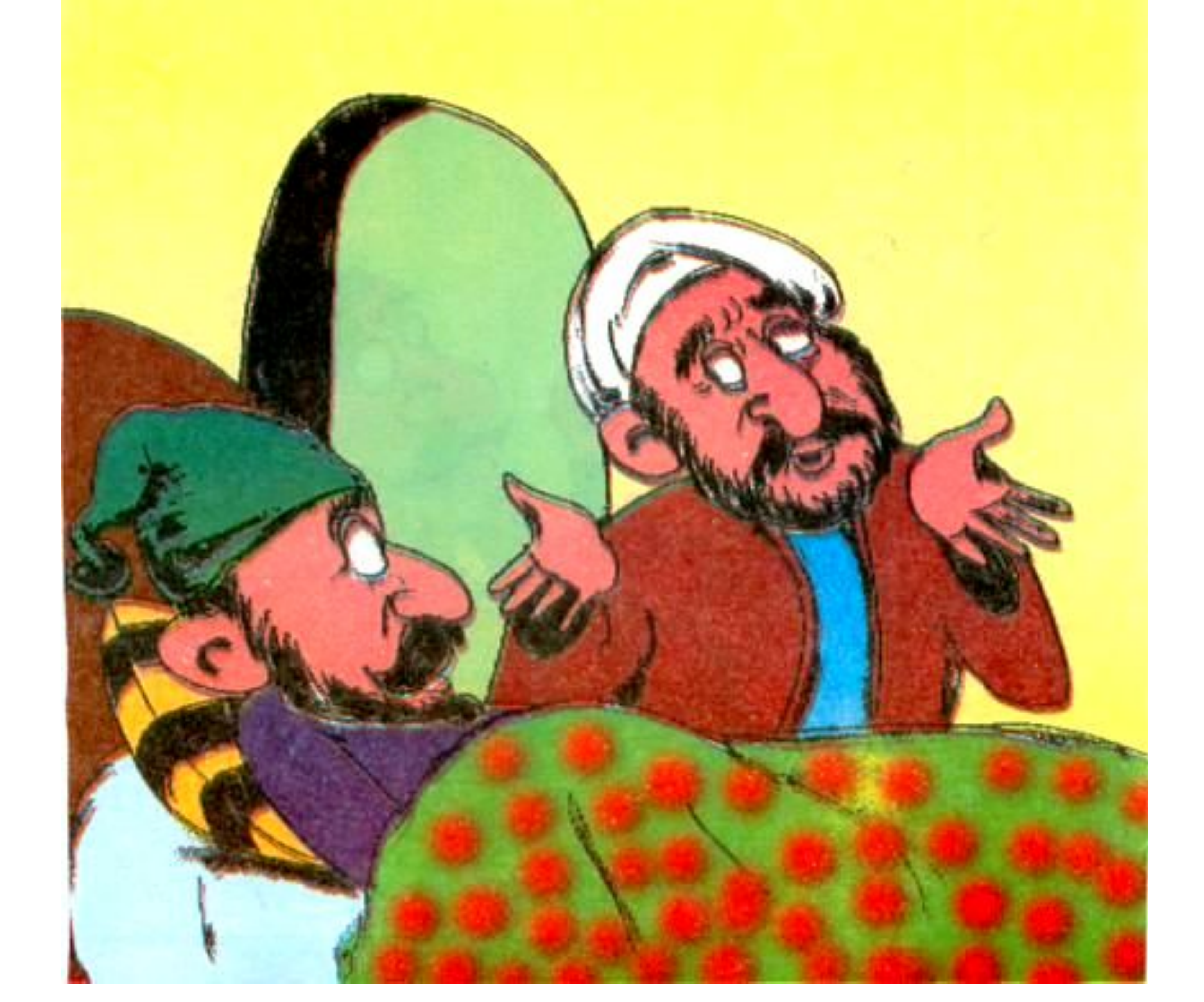
١ ـ أُصيب الملكُ بمَرضٍ خطير ، فبعثَ في طلبِ كِبارِ الأطبّاءِ في بَلدِه لِمُعالجَتِه ، ولكنّهم عَجزوا عن شِفائه ، فقالَ لهم : كيفَ أكونُ مَلِكًا على كلِّ هذه البِلاد ، ولا تَستطيعونَ شِفائي ؟ كيفَ أَحتاجُ إليكم وأنا الملكُ عَليكم ؟



٢ ـ خافَ الأطبّاءُ من بَطشِ المَلِك ، فذهبوا إلى كبيرِ الحُكَماء ، وكانَ فَقيهًا في الدّين مُؤمِنًا باللّهِ الواحِد ، وأخبروه ، فذهب إلى الملِكِ فلمّا رآهُ الملِكُ عندَه ، قالَ له : إنّني لا أشعُرُ بالسّعادة .



٣ ـ قال كبيرُ الحُكماء : هذا طبيعيٌّ يا مولاى ، فنحنُ عِبادَ اللّه نشعرُ بالسَّعادةِ أحيانًا وبالشَّقاءِ أحيانًا أُخرَى ، ونشعُرُ بالقُوَّةِ مرَّةً وبالضَّعفِ مرَّةً أخرى ، وهذا هو حالُ كُلِّ البَشَر . غضِبَ المَلكُ وقال : ولكنّنى ملكُ البلاد ، عِشتُ طِوالَ عمرى قويًّا يخافُنى عِبادى . قاطعَهُ كبيرُ الحُكماء : تَقصِد عِبادَ اللّهِ يا مَوْلاى !



٤ ــ قالَ الـملِكُ مُستَغرِبا : أراكَ تُريدُ أن تَقولَ شَيْئا ، فهاتِ ما عِندَك .

قالَ كبيرُ الحُكماء : لاحظَ الجَميعُ أنّكَ كلّما تحدَّثتَ عن شَيء قُلت : أنا المَلِك ، فكيفَ يُصيبُنى ما يُصيبُ عامَّةَ النّاس ؟

ضحِكَ المَلِكُ وقال : حقًّا هذا ما أقولُه .



٥ ـ قالَ كبيرُ الحُكَماء : ألا تعلَمُ يـا مَـولاىَ أنَّ « المَلِـكَ » اسـمٌ مـن أسمـاءِ اللّـهِ الحُسـنَى ؟ قـال المَلـك : لم يُخـبرنى أحـدٌ بذَلك . قالَ كبيرُ الحُكَماء : « المَلِكُ » هو الَّذى يَستَغنى بذاتِهِ وصِفاتِهِ عن كلِّ مَوجودٍ سِواه ، وكلُّ مَوجودٍ سِواهُ مَملوكٌ له .



٦ ـ قالَ المَلك : هـذا هـو « المِلـكُ الـمُطلَق » قـالَ كـبيرُ الحُكمـاء : وأنـا لا أتَصـوَّرُ أبـدًا أن يكـونَ العبـدُ مِنّـا « مَلِكًـا مُطلَقا » . فـأنتَ يـا مَـولاىَ لا تَسـتطيعُ أن تَسـتغْنِىَ عـن كـلِّ مَوجودٍ سِواك . فالعَبدُ مِنّا فقيرٌ إلى اللّهِ سُـبحانَهُ وتَعـالَى ، فلـو أنّك استْغنَيتَ عن كلِّ مَوجود ، لم تَستَغْنِ مُطلقًا عن اللّه .



٧ ـ قال الملِكُ وهو يتألّم من مَرضِه : حَديثُكَ هـذا يُوَضِّح لى أشياءَ كُنتُ أَجهَلُها تماما . قالَ كبيرُ الحُكماء : هُناك يا مولاىَ أشياءُ إنْ مَلكتَها ولم تَملِكْك ، وإنْ أطاعَتكَ ولم تُطِعها ، كنتَ حَقيقًا أن تكونَ مَلِكا مُطْلَقا . قالَ المَلك : سأسْتَمعُ لِما تَقول ، على أن تُخبِرَنى بَعدُ بعِلاجِ مرضى ، فما هىَ هذه الأشْياء ؟



٨ ــ قال كبيرُ الحُكماء : هذه الأشياءُ هي مَيلُ قلبِك وشَهوتُك ، وغَضبُكَ ولِسانُك ، وعَيناكَ ويَداك ، وسائرُ أعضائك ، ثم جُنودُك ورَعاياك بالحَقّ . قال المَلِك : أعلمُ تَمام العِلم أنّ جُنودى ورَعاياى إنّما يُطيعونَنى خَوفًا ورُعبًا من بَطشى ، حيثُ لا أتحكّمُ فى غَضَبى .



٩ ـ قالَ كَبيرُ الحُكماء : ها هو الوقتُ قد جاءَ يا مَـولاىَ ، لتَكون جَديرًا بالصِّفةِ الّتى تُقرّبُك منَ اللّهِ تَباركَ وتَعالى . فهذا الـمُلكُ الّـذى أنـت فيـه إنّمـا هـو عَطِيّـةٌ إليـكَ مـن « المَلِـكِ المُطلَق » الّذى لا شَريكَ له فى مُلكِـه ، وأنـت الآنَ وفـى كـلِّ وَقتٍ فى أشَدِّ الحاجَةِ إلى اللّهِ « الـمَلِكِ المُطلَق » ليُعينَكَ على مَرضِك ويُهدِّئَ من نَفسِك .



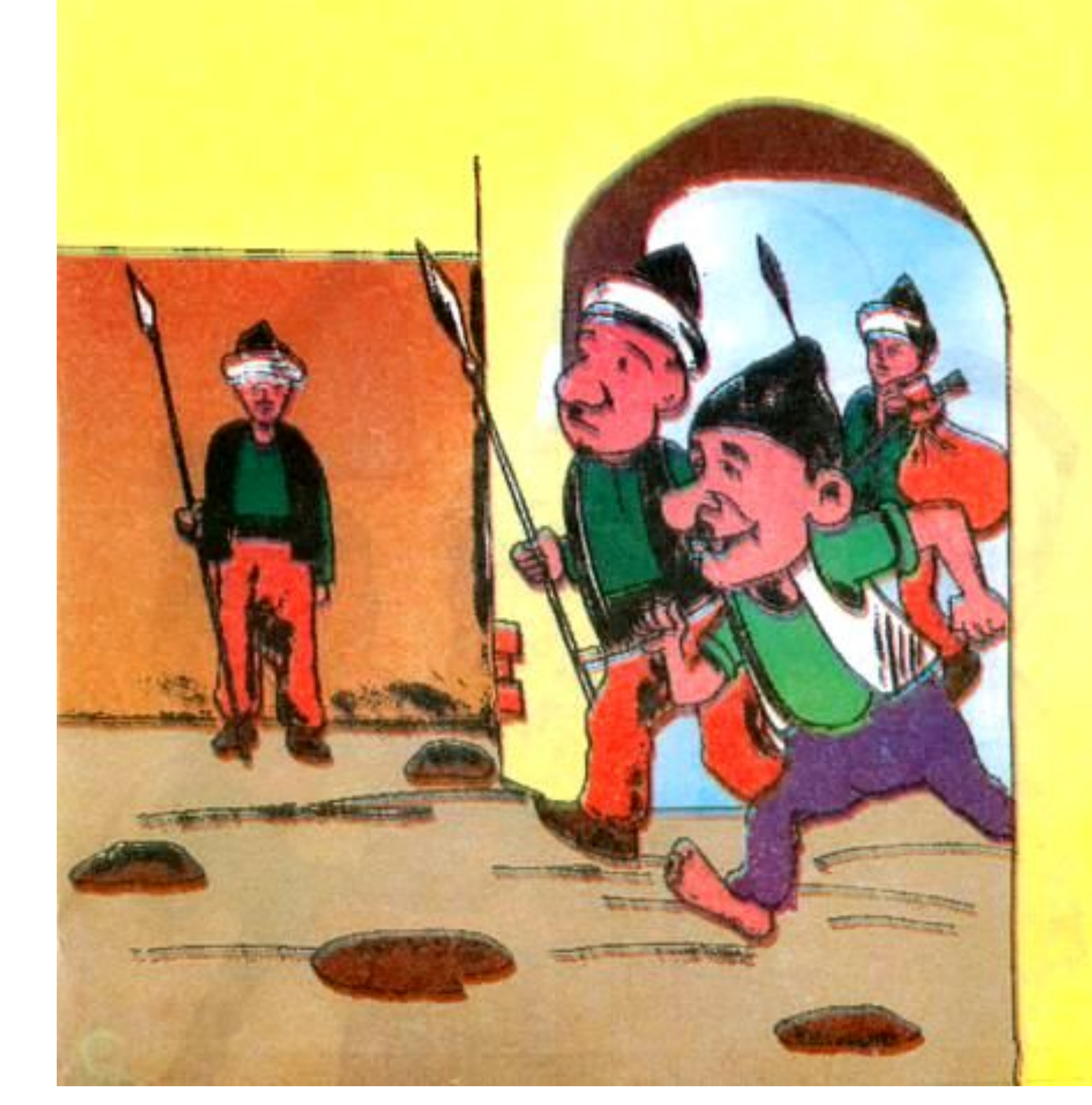
١٠ ــ ابتسمَ المَلكُ وقال : أعِدُك يا صاحِبى أن أكونَ جديرًا بهذه الصِّفة ، ولكن أَخبرنى أوَّلاً بعِلاج مَرضى حتّى يَبتَعدَ الشّقاءُ عَنّى . قال كبيرُ الحُكماء : لقدْ أوقعتَنى الآنَ فى حَيْرَةٍ يا مَولاى ، ولكنْ لا بَأس ! فسأُخبرُكَ بعِلاجِ مَرضِك وهوَ بَسيطٌ جِدًّا ، أنْ تَلبَسَ حِذاءَ رَجلٍ لم يَذُق طعمَ الحُزنِ فى حَياتِه .



١١ ـ ضحِكَ المَلِكُ وقال : انتَ الّذى أوْقَعْتَنى فى حَيرَةٍ شَديدَة . وراح المَلِكُ ورِجالُ قَصرِه وجُنودُه وأتْباعُه يَبحثونَ فى كلِّ مَكانٍ عن هَذا الرَّجُلِ السَّعيد ، الّذى لم يَذُقْ طعمَ الشَّقاءِ فى حَياتِه ، ولكن أينَ يَجدونَه ؟



١٢ ـــ فالنّاسُ جَميعًا يَسعَدونَ أحْيانًا ويَشقونَ أحْيانًا أُخرَى . إلى أن عثرَ رِجالُ القَصرِ ذاتَ يَومٍ علَى ذلك الرَّجلِ الّذى لَمْ يَذُق طعمَ الشَّقاء فى حَياتِه ، وكانَ صَيّادًا فَقيرا مُعدِما . قالَ لَهم : إنّى لم أذُقْ طعمَ الشَّقاء فى حَياتى . فأخَذوه فى الحالِ إلَى القَصر .



١٣ ـ وفى القَصرِ سألَه المَلِكُ وكَبيرُ الحُكماء عن سرِّ سَعادَتِه ، فقالَ لهما : إنَّنى قانِعٌ دائمًا ، وراضٍ بما يرزُقُنى اللّهُ تباركَ وتَعالى مَلِكُ السَّمَواتِ والأرض ، ومُؤمِنٌ بأنَّ الخَيرَ كلَّهُ من عِندِ اللّه ، وأن الشَّرَّ كلَّهُ من عندِ النّاس .



١٤ ـ ما إنْ سَمِع رجالُ القَصرِ ذَلك ، حتى انْقَضّوا على الرَّجلِ الفَقيرِ الّذى لم يَذق طَعمَ الشّقاءِ فى حَياتِه ، ليَخلَعوا حِذاءَهُ من رِجلَيْه لِيرتَديه المَلِك ، ولكنّهم فوجِئوا بأنّه لا يَلبَس فى رِجليهِ أىَّ حذاء ، فدُهِش المَلكُ ، وإذا بِكَبيرِ الحُكماءِ يَضحَك .



١٥ ـ ابْتسَم المَلكُ وقال : سُبحانَ اللّه ! لقد علّمتنى دَرسًا لن أنْساه . قالَ كبيرُ الحُكماء : اِقْطَع طَمعَك عنِ الدُّنيا تَكنْ مَلِكًا فى الدُّنيا والآخِرَة ، واطلُب حاجَتكَ من اللّه فهو وحْدَه المَلكُ الحقُّ سُبحانَه .

فذهبَ الملِكُ إلى فِراشِه ، وراحَ يَبكى ويَطلُبُ منَ اللّهِ سبحانَهُ وتَعالَى أن يَشفِيَه ، فهو وَحدَه القادِرُ على أنْ يَشفِيَهُ من مَرضِهِ .

